عرضه ونقد :

العقل المؤمن

تأليف الأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

الاستاذ بركات

— ١ —

ذلك — أيها القارئون — قبس له وهج ونور ، آلى على نفسه الكاتب — أن يقف به لايرم ، فى مفترق الدروب ، وملتقى السبل . يجمع السارين السكارى على حجة الله ، وصيحة الكون ، ويود فى إخلاص لو تنشق له كل نفس ليواقف فيها أصل الفطرة وروح الطفولة ، ومنطق البراءة « إن الاسلام دين الطبيعة ، ولو لم يكن دينا موحى به لكان المذهب العقلى الفلسفى الوحيد الذى يجب اتباعه وحمل العقل عليه لاحترام النفس ، والاحتفاء بالحياة العاجلة والاطمئنان إلى المصير السعيد »(١) .. وإن طوفة تعطف بالمرء على كل فصل فى رفقة الأستاذ عبد المنعم خلاف — لكفيلة باستقرار وجدانه ، وهدوء نفسه

لقد سحق القلق قلوبا حتى ذرها رمادا فى الهواء ، ومن هنا ضاقت مسارح الإنسانية بين فكى القنوط ، وصار الأمل كله قارا على مرتكز بعيد فى أغوار المستقبل هو : الإنسان الكامل ، وبين يدى ذلك اليأس الكافر هوت قيمة الفرد وصار معبرا وطريقا إلى الغائب المنشود ، وكأنه مسمار فى باب ، أو خيط فى ثوب ، ولكن العقل المؤمن بسناه النافذ ، يكشف التمة ، ويطارد تلك الظلمات « تقول بعض الفلسفات إن الحل لهذه المشكلة هو فى القول بالامتداد المستمر فى الأفراد الآتية من النوع . فالكمال الذى ينشده الأفراد ويحلمون به سيتحقق فى النوع . وكأن الإنسانية فى خيال هؤلاء هى المعنى الواحد فى الأفراد . أما أجسام الأفراد فهى أثواب تنضوها الإنسانية فى الأجيال المتعاقبة وتلقيها جثثا ميتة على طريقها إلى غايتها .. ولكن فى هذه الفلسفة إهدارا تاما للفرد وارتدادا بالإنسانية إلى أفق واطئ جدا هو أفق النبات والبذور ، دع عنك أفق الحيوان ، ونظرة واحدة إلى إخراج الأفراد من الأرحام بصور متعددة الوجود وشكول مختلفة فى العقول والنفوس — وهذا فى الإنسان فقط — تحملك على الجزم والاعتقاد بأن القصد فى الطبيعة متجه إلى خلق الفرد بالذات ، وإحساسه على انفراد بالحياة التى فيه هو ، وأنه مخاطب وحده مباشرة من خالق الوجود »(٢) وهكذا نصل الى المنتهى فنجد الفلسفات الداكنة قد دقت بالمطارق حتى سادت الأرض . وجملة مايمكن أن يقال من كتاب « العقل المؤمن » هو أنه استجابة صادقة لقول الخالق الأعظم .. « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » ورحمة الله على أبى اسحق(٣) فقد قال .

ولله فى كل تحريكة ... وفى كل تسكينة شاهد
وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه واحد

— ٢ —

بقيت كلمة ..

يقرر المؤلف وهو مندفع فى غمرة الحماس « أن الإنسانية القديمة (٤) أصدق من الحديثة إحساسا ، وأحيا شعورا .. حين شغلتها المسألة الدينية فى جميع مواقفها ، وجعلتها تنسى شؤونها المادية ، ومعها شعورها الدينى (٥) » وكلنا يعلم أن الدين فى معتقد الأقدمين غفلة وذل ، ولعل الهرم أعظم برهان يقدم دليلا وشاهد إثبات على هوان الرعية وتجبر الرعاة ، وتواضع الشعب وسطوة الحاكم ، وكان كل ذلك باسم الدين ، ولخير عندى أن يتمرد (إينشتين) أبو الذرة فيقول : « ما هو الله ؟ .. سؤال

(١) ص ٢١

٢) ص ٥٣
٣) كنية أبى العتاهية
٤) يعنى البدائية
٥) ص ٢

ملامح من المجتمع العربي !

بهذا العنوان أصدرت دار المعارف كتابا جديدا من سلسلة « اقرأ » للأستاذ محمد عبد الغني حسن المدرس بكلية البوليس الملكية ، وقد جال فيه الأستاذ جولات موفقة في صميم المجتمع العربي في جميع عصوره، بل أحسن الاختيار في تبويبه وصياغته وما فيه من حقائق أفصح عنها المؤلف بقوله « فلن أذكر لك في هذه الصفحات إلا حقائق قرأتها لك في عشرات من الكتب ، وألفت بين موضوعاتها نسبا ، فضممت الفرع إلى أصله . وقرنت الشبه إلى مثله ، وكنت أقيد لك كل صيد من الحوادث بقيد من الكتابة ، حتى إذا اجتمع لي من ذلك — على فترات من الزمن — مادة صالحة لأن أقدمها إليك تشجعت على أن أختارك معي رفيقا في رحلة ممتعة كل المتاع على خلال العصور ، فترى معي ألوانا من المجتمع العربي بعد الفتح الإسلامي . »

فلنترك الأستاذ يقص علينا من ملاحه اللطيفة الممتعة حتى نصل إلى ص ١٠٨ من كتابه المذكور فنراه قد استشهد ببيت من الشعر في غير موضعه أثناء عرضه لعادة « النقوط » ؛ تلك العادة المنتشرة بيننا إلى الآن ولها صولة ودولة خصوصا في صميم الريف المصري ، إذ قال « ... على أن العروس نفسها كانت تنقط كما يدل عليه قول الشاعر :

هذي عروس الزهر نقطها الندى
بالدر فابتسمت ونادت معبداً . . . »

والقائل لهذا البيت يصف زهرة نبات لا زهرة إنسية ، وإذا فليست هناك مناسبة بين عروسنا الآدمية في نقوطها المعروف وعروس الزهر وقد نقطها الندى بالدر سوى التشبيه[1]

والمعروف أن هذا البيت ضمن أبيات للشيخ نصيف اليازجي المتوفى سنة ١٨٧١ م في وصف الرياض والزهر :—

هذي عروس الزهر نقطها الندى
بالدر فابتسمت ونادت معبدا
لما تفتق سترها عن رأسها
عبث الحياء بخدها فتوردا
فتح البنفسج مقلة مكحولة
غمز الهزار بها فقام وغردا

ليس له معنى [6] » من أن توصر أجيال السالفين بالأديان في خدمة الكهنة والمتألهين

وفي مكان آخر بعد الذي مضى يقول « وقد كانت عقول قدمائنا حتى عقول بعض الأنبياء لا تدرك عمل الله سبحانه في التكوين والإحياء وتتوهمه سبحانه خاضعا في عمله « وسائط والأدوات والكيفيات المادية »[7] ولعل الكاتب الكريم لا يخالفني في أن النبي هو الصورة المثلى للإيمان ، وهو كالعبقري شاذ في الطبيعة يستند في تفوقه الإلهامي إلى الوحي ، وفي قدرته الخارقة إلى المعجزة وما يحمله عرض المؤلف من معاني هو كل ما يأتي النبي لهدمه وطرده من عقول أمته . وإذا كان المؤلف قد أتى بطائفة من آيات القرآن المحكمات فرجاؤنا أن يبحث لها عن تفسير غير تفسيره يكن أسلم

* * *

وكتاب اليوم هو الأخ الثاني لسفر[8] نقدمه وأحدث ضجة كنا نتتبعها بشغف في سنة ١٩٤٦ وكلاهما يسير على صراط واحد نحو أساس روحي للحضارة المادية.. وسيتلوهما ثلاثة ينتظمها المنهاج ؛ والذي أبديت في سالف القول لا ينال من هذا الكتاب القيم وفي اعتقادي أني في صدر ملاق المؤلف رحبة فسيحة للرأي فيها مكان . وسلامي عليه

برقات

٦) من حديث له بجريدة المصري يوم ١٦ يونيه ١٩٥١
٧) ص ١٨
٨) هو « أومن بالانسان »